

مختصر ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم .

- 1 - حم .

- 2 - تنزيل من الرحمن الرحيم .

- 3 - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون .

- 4 - بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون .

- 5 - قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقد ومن بينك حجاب فاعمل إتنا عاملون .

يقول تعالى : { حم تنزيل من الرحمن الرحيم } يعني القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله : { قل نزله روح القدس من ربكم بالحق } قوله : { كتاب فصلت آياته } أي بينت معانيه وأحکمت أحكامه { قرآن عربيا } أي في حال كونه قرآن عربيا بينما واضحًا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحه كقوله تعالى : { كتاب أحکمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير } أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه قوله تعالى : { لقوم يعلمون } أي إنما يعرف هذا العلماء الراسخون { بشيرا ونذيرا } أي تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين { فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون } أي أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئاً مع بيانه ووضوحيه { قالوا قلوبنا في أكنة } أي في غلف مغطاة { مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقد } أي صمم عما جئنا به { ومن بينك حجاب } فلا يصل إلينا شيء مما تقول { فاعمل إتنا عاملون } أي اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك روى البغوي في تفسيره عن جابر بن عبد الله قال : اجتمع قريش يوما فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننتظر ماذا يرد عليه فقالوا : ما نعلم أحدا غير (عتبة بن ربيعة) فقالوا : أنت يا أبا الوليد : فأتابه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى يسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشت أمرنا وعابت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم ببعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا واحدا وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوشك عشرات

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فرغت ؟ " قال : نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم - حتى بلغ - فإن أعرضوا فقل أنذرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود } فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل : يا معاشر قريش وآله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك له إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمد أبداً وقال : وآله لقد علمتم أنني من أكثر قريش مالاً ولكنني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء وآله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله تعالى : { فإن أعرضوا فقل أنذرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود } فأمسكت بفيه وناشده بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم العذاب .

وروى محمد بن إسحاق في كتاب السيرة عن محمد بن كعب القرطي قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يا معاشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء وكيف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة به ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكررون فقالوا : بل يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعابت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آباءهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قل يا أبا الوليد أسمع " قال : يا ابن أخي إن كنت إنما ت يريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت ت يريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت ت يريد به ملكاً ملکناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع .

ردَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبَنَا لَكَ الْأَطْبَاءَ وَبِذَلِّنَا فِيهِ أَمْوَالُنَا حَتَّى نَبْرَئَكَ مِنْهُ إِنَّهُ رَبِّنَا غَلَبَ التَّابِعَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَدْاُوِي مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ عَتْبَةَ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال : " أَفْرَغْتَ يَا أَبا الْوَلِيدِ ؟ " قَالَ : نَعَمْ قَالَ : " فَاسْتَمِعْ مِنِّي " قَالَ : أَفْعَلْ قَالَ : { بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حِمْ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فَصَلَّتْ آيَاتُهُ قَرآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ... بَشِّيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فيها وهو يقرؤها عليه فلما سمع عتبة أنسَتْ لَهَا وَأَلْقَى يَدِيهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ

معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال : " قد سمعت يا أبو الوليد ما سمعت فأنت وذاك " فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف يا أبو الوليد لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبو الوليد ؟ قال : ورأي أني سمعت قوله ما سمعت مثله قط وإنما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة . يا معاشر قريش أطيعوني واجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعترزواه فوأليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتهم بغيركم وإن يظهر على العرب فملكته ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا : سحرك وإنما يا أبو الوليد بلسانه قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم . وهذا السياق أشبه من الذي قبله وإنما أعلم